أثر الدراسات القرآنية في إثراء مباحث الأدب المقارن

أ(ة). بن ربيعي فطيمة
جامعة يحيى فارس المدية–الجزائر

ملخص :

الأدب المقارن من أهم مجالات النقد الحديثة التي فتحت آفاقا واسعة في الساحة الأدبية والفكرية، لما قدمته من اكتشافات حول الحضارات الشرقية والغربية (القديمة والحديثة)، وإبراز العلاقات الرابطة بينها فكريا وثقافيا ودينيا وأدبيا، من خلال الوقوف على الصلات التأثيرية بين الأدباء المنتمين للحضارات المختلفة. والباحث المقارن بحاجة لمعرفة المنظومة الفكرية والعقائدية والثقافية والتاريخية المؤثِّرة في الموروث الأدبي؛ من خلال طَرْقِ مختلف المجالات المتخصصة، ونحن في هذا المقال سنسلط الضوء على مجال (الدراسات القرآنية) ونتائج بحوثه التي أفاد منها البحث المقارن، لتوسيع دائرة بحثه، من قصص قرآني وتفسير وغيرها من الدراسات التي تشرح المنظومة العقائدية للأديب وتساهم في مقارنة منتوجه مع غيره.

Abstract:

Comparative Literature is one of the most important fields of the modern criticism that opened a broad of prospects in literary and intellectual scene, for their discoveries about the Eastern and Western civilizations (ancient and modern), and highlight the links between them intellectually and culturally, religiously and morally, it is by standing on the influential links between writers belonging to different civilizations. And scholar of comparative need to learn the system of intellectual and ideological, cultural and historical influence in the literary heritage; through various specialized fields ways, in this article we will shed light on the field (Quranic studies) and the results of its research by benefiting comparative research, the Quranic stories, interpreting and other studies that explain the system of ideological and contribute to the author which compared his product with other.

المنارة للاستشارات

لا يخفى علينا تنوع مباحث الأدب المقارن واتساعها، ومدى التأثير البالغ الذي خلفته على المنظومة الأدبية والفكرية بصفة عامة، وتلك الأسرار التي كشفتها، أو ساعدت على كشفها عندما فتحت نافذة جديدة لاكتشاف الحضارات القديمة ومن ثم لدراسة القرون الوسطى وحتى الحديثة، فمن خلال تفحص تلك الآثار الأدبية الموروثة عبر الأجيال المتعاقبة، وكشف الصلة التأثيرية بينها، وتسلل الأفكار المختلفة، والمعتقدات الدينية والشعبية عبرها، توصلنا إلى تفسير الفكر (العربي والأجنبي)؛ من خلال الفكر العقائدي لأدباء وشعراء كل من القطبين، وكشف الصلة الرابطة بينهما، ولقد ساعدتنا الدراسات القرآنية واكتشافاتها القيمة على توضيح هذا الأمر أيما توضيح، فمن خلال الدراسات المتعلقة بالمجال القرآني استطعنا توضيح الكثير من اللبس والخلط المبثوث في تلك النصوص القصص الأدبية التي تتناول أو تشير إلى قصص الأنبياء والمرسلين والصالحين كقصص (يوسف، داوود، آدم، يونس، عيسى ..عليهم السلام)، والدراسات المتعلقة بالأديان المقارنة مكنتنا من كشف تلك الفوارق والتقاطعات العقائدية بين الديانات السماوية وغير السماوية ومختلف الأفكار العقائدية التي اعتقدتها شعوب العالم القديم والحديث، والتي نجدها مبثوثة في الآثار الأدبية المختلفة كالأفكار المتعلقة بأصل الإنسان وخلقه، ومصيره، وحياة ما بعد الموت، وحقيقة العقاب والثواب... وغير ذلك.

هذه المجالات وغيرها أفادت مباحث الأدب المقارن أيما إفادة، وساهمت في توضيح الفكر الديني والفلسفي الشرقي والغربي أيما توضيح، ومدى تأثير أحدهما على الآخر وعلى المنظومة الأدبية العالمية، لهذه الأهمية ولجوانب أخرى

المنارة للاستشارات

ارتأيت التقدم بهذه الدراسة للوقوف على أثر الدراسات القرآنية المختلفة على مباحث الأدب المقارن.

من بين مجالات الدراسات القرآنية التي ظهر أثرها البالغ على الأدب بصفة عامة والأدب المقارن خاصة **(القصص القرآني)** بما فيها من مقاصد سامية، فهي تروي لنا قصص الأنبياء والمرسلين "عليهم السلام"، وأخبار الأمم السابقة، وتهدف إلى بيان أن الرسل جميعا أرسلوا برسالة واحدة، وهي الدعوة إلى الله تعالى وإخلاص العبادة للواحد القهار، وأداء التكاليف التي أنيطت بالناس... وجاء القرآن بهذا القصص الحق وحكاه بالصدق ليكون عبرة وعظة للناس.[1]

قال تعالى: « **إِنَّ هَذَا لَهُوَ القَصَصُ الحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللهُ إِنَّ اللهَ لَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ** ».[2]

وقال سبحانه : « **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ** ».[3]

إذا كان القص في اللغة تتبع الأثر، والقصص الأخبار المتتبعة،[4] والقصة الفنية في الاصطلاح هي « عرض لفكرة مرت بخاطر الكاتب، أو تسجيل لصورة تأثرت بها مخيلته، أو بسط لعاطفة اختلجت في صدره فأراد أن يعبر عنها بالكلام ليصل بها إلى أذهان القراء محاولاً أن يكون أثرها في نفوسهم مثل

---

[1] الحافظ بن كثير، **قصص القرآن**، تح. صلاح الدين محمود السعيد، دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، ط.1، 2007، ص.ص. 6،7.

[2] **القرآن الكريم**، برواية ورش عن نافع، إشراف اللجنة العلمية في دار الخير، دار القرآن الكريم، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، حلب، سوريا، ط.1، 2004، سورة آل عمران، الآية : 62.

[3] سورة يوسف، الآية: 111.

[4] ينظر ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط. 1، ج.7، ص.74.

المنارة للاستشارات

أثرها في نفسه».[1] فبالرجوع إلى القصة القرآنية نجد أن تعريف القصة الفنية لا ينطبق عليها كل الانطباق؛ فهي:

– **أولاً:** ليست خاطرة في ذهن الله تعالى شأنه.

– **ثانياً:** ولا هي تسجيل تأثرت به مخيلته.

– **ثالثاً:** وهي ليست بسطاً لعاطفة اختلجت صدره فأراد أن يعبر عنها بكلام ليحدث أثراً في نفوس القارئين مثل أثرها في نفسه.[2]

من هنا نستطيع القول بأن القصة القرآنية « ليست عملاً فنياً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه، كما هو إتيان القصة الفنية الحرة التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق، إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية، والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها، وقد خضعت القصة القرآنية في طريقها وطريق عرضها وإدارة حوادثها المقتصة الأغراض الدينية أو ظهرت آثار هذا الخضوع في سمات معينة ».[3] كما أن للقصص القرآني مميزات خاصة تكمن في « رونق الأسلوب وبديع النظم وجمال الصورة مما ترقص له قلوب الأدباء، وعدا ما فيها كذلك من المواقف والتحاليل النفسية والاستنتاجات الكامنة وراء الأحداث التي يجد فيها علماء النفس

[1] بكري شيخ أمين، **التعبير الفني في القرءان**، دار الشروق ط.3، 1979، ص.215.

[2] ينظر مأمون فريز جرار، **خصائص القصة الإسلامية**، دار المنارة، جدة، د.ت، ص.59.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المنارة للاستشارات

بغيتهم»[1] ؛ لذلك وجد اهتماما كبيرا لدى الأدباء والمتخصصين والدارسين كل حسب مجال اهتمامه.

ويساعدنا القصص القرآني على توضيح وتصويب الأخبار الخاطئة عن الأنبياء والرسل السابقين الذين وجد الأدباء في تجاربهم المادة الدسمة والمتنوعة لإبداعاتهم، فنحن نصادف الكثير منهم يوظف جوانب من تلك التجارب ويستثمرها في بناء صوره الأدبية ونماذجه الإنسانية، لكن تلك الصور تتعدد وتختلف باختلاف المصدر الذي يعتمده الأديب؛ كما نستفيد من أبحاث الدراسات المتخصصة في الأديان المقارنة لكشف ذلك اللبس أو الشبه والاختلاف بين أخبار الأنبياء والمرسلين، لذا سنحاول الوقوف على بعض القصص التي استقطبت اهتمام الشعراء والأدباء على مر العصور- كنماذج- محاولين إبراز مساهمة الدراسات القرآنية في توضيح ذلك الاستلهام وتبيين معالم اتفاقه واختلافه.

من بين المباحث التي يتناولها الأدب المقارن **(النموذج الإنساني في الأدب)**، وهو النموذج الذي يقدم صورة متكاملة لأبعاد الشخصية الأدبية، بحيث تتمثل فيها مجموعة من الفضائل أو النقائص بشكل متفرق أو مجتمع، على محور يجعل منه مثالاً ينبض بالحياة وتتميز شخصيته بالإقناع والعمق والكمال الفني. وطبيعي ألا يحفل الأدب المقارن بدراستها إلاّ إذا صارت عالمية، فانتقلت من أدب إلى أدب آخر.[2] وقد تحتفظ في انتقالها ببعض خصائصها التي كانت لها في مكان نشأتها وقد تكتسب عند انتقالها خصائص جديدة. كما تتنوع

[1] فضل حسن عباس، **القصص القرآني : إيحاؤه ونفحاته**، شركة شهاب، الجزائر، 1989، ص.11.

[2] ينظر غنيمي هلال، **الأدب المقارن**، دار العودة، بيروت، 1983، ص.249.

المنارة للاستشارات

تلك النماذج حسب مصدرها إلى : **نماذج إنسانية عامة، نماذج بشرية أسطورية، نماذج شعبية، نماذج مصدرها التاريخ**، ومنها **نماذج مصدرها ديني،** وهي المأخوذة من الكتب المقدسة مثل : الإنجيل والتوراة، أو القرآن الكريم، ومن الشخصيات الدينية التي حظيت باهتمام كبير في الأدب في العصور الحديثة شخصية **(الشيطان)** وقد ابتعدت هذه الشخصية عن مصدرها الديني حين انتقلت إلى الأدب حيث يختلف شكل توظيفها والهدف منه باختلاف المنظومة الدينية التي تحتوي الأديب، بخاصة على يد الرومانسيين.[1] مثل ما هو موجود في الملاحم الإنجليزية[2] حيث صورت فيه النزعة إلى الحرية والاستقلال والاعتماد على الحجة. كما جعله الرومانسيون بائساً متمرداً يشعر بالشقاء والبؤس. وكثرت المعالجات التي اعتمدت على هذه الرؤية عند عدد كبير من الأدباء الرومانسيين[3]. فمن أين أخذت هذه الفكرة عن هذه الشخصية، وما هي المصادر التي تولدت عنها ملامحها ؟ وما هي الغاية من إعطائها على تلك الشاكلة ؟

تناقلت أمم العالم وشعوبه منذ أقدم العصور أخبار الشيطان (الملاك الساقط) المذكورة ضمن (قصة "آدم" و"حواء")، المستمدة مما روته الشرائع السماوية، فالحديث عن **(آدم وحواء والشجرة التي يجب عدم الاقتراب منها)** ورد في الكتب السماوية المقدسة، ومنه انتشرت أخباره لدى شعوب الأمم المختلفة،

---

[1] ينظر غنيمي هلال، **الأدب المقارن**، ص.250.

[2] مثل ملحمة **(الفردوس المفقود Paradis Lost)** لـ "جون ميلتون John Milton" (1608-1674).

[3] أمثال الشاعر "بيرون Bairone، و"ألفريد دي فيني A. de Vigay"، و"فكتور هوغو F. Hougou"...

المنارة للاستشارات

ورسخت في الذاكرة الشعبية العالمية، ليتخذ الشعراء والأدباء منها مصدرا لأدبهم؛ ولعل أعظم مثال على ذلك أدب الملاحم ممثلا في **ملحمة (الفردوس المفقود)** لـ"**جون ملتون**" التي استلهم أحداثها من قصة (آدم وحواء) المذكورة في التوراة؛ في (سفر التكوين) في (الإصحاح الثالث).

يذكر الكتاب المقدس في بداية سفر التكوين قصة (أدم وحواء) وكيف دخلت الخطيئة إلى عالم البشر، فقد وضع الله آدم وفيما بعد امرأته التى خلقها من ضلعه في جنة عدن **(وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها)**[1]، وكان آدم وحواء فى حالة من القداسة أو البراءة البدائية primitive innocence، فقد كانا مثل الأطفال؛ لم يكونا يعلمان ما الفرق بين الخير والشر، والدال على ذلك تسمية الشجرة بـ **(شجرة معرفة الخير والشر)**_مما يوحي بأن الأكل منها هو الذي سيجلب هذه المعرفة بالخير والشر[2] :

-_« **وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر، وجيدة للأكل وشجرة الحياة في وسط الجنة، وشجرة معرفة الخير والشر** ».[3]

- « **وأما وشجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها؛ لأنك يوم تأكل منها موتا تموت** ».[1]

---

[1] **التوراة والأناجيل الأربعة**، ترجمة من اللغات الأصلية، العبرانية والكلدانية واليونانية، جمعية التوراة الأمريكية، جمعية التوراة البريطانية والأجنبية، القاهرة، 1938، سفر التكوين، الإصحاح الثاني، الآية: 15.

[2] **توماس برنابا**، تقويض قصة أدم وحواء في سفر التكوين!!، **الحوار المتمدن، ع. 4058، 2013 / 4 / 10،09:25**.http://www.ahewar.org/debat/show.art

[3] الإصحاح الثاني، الآية: 09.

المنارة للاستشارات

– « بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما، وتكونان كالله عارفين الخير والشر ».[2]

ولقد أورد **(سفر التكوين)** في **(الإصحاح الثالث)** قصة (آدم وحواء و"الخطيئة الأولى") على النحو التالي:

«...وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله، فقالت للمرأة[3]:

- **أحقا قال الله، لا تأكلا من كل شجر الجنة ؟**
- **فقالت المرأة للحية: من ثمر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة، فقد قال الإله: (لا تأكلا منه، ولا تمساه، لئلا تموتا)**
- **فقالت الحية للمرأة: لن تموتا، بل الله عالم لأنه يوم تأكلان منه، تتفتح أعينكما، وتكونان عارفين الخير والشر.**

فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر، فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت رجلها أيضا معها فأكل، فانفتحت أعينهما، وعلما أنهما عريانان، فخاطا أوراق التين، وصنعا لأنفسهما مآزرا. وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب وسط شجر الجنة. فنادى الرب الإله آدم، وقال له : أين أنت ؟

---

[1] الإصحاح الثاني، الآية: 17.

[2] الإصحاح الثالث، الآية: 05.

[3] يقصد بالمرأة هنا "حواء".

المنارة للاستشارات

- **فقال آدم : سمعت صوتك في الجنة، فخشيت لأني عريان فاختبأت.**
- **فقال الإله: من أعلمك أمك عريان ؟ وهل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها ؟**
- **فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي، هي أعطتني من الشجرة، فأكلت.**
- **فقال الرب الإله للمرأة: ما هذا التي فعلت ؟**
- **فقالت المرأة : الحية غرتني فأكلت.**

...

- **وقال للمرأة: تكثيرا أكثر حبل أتعابك، بالوجع تلدين أولادك، وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك.**
- **وقال لآدم: لأنك سمعت لقول امرأتك، و أكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلا: لا تأكل كنها، ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. وشوكاوحسكا تنبت لك، وتأكل عشب الحقل، بعرق جبينك، وتأكل خبزا حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها، لأنك من تراب وإلى التراب تعود».**[1]

هكذا نزل حكم الله بحق "آدم" و"حواء" والحية لأنه أمرهم فلم يطيعوا أمره، ونهاهم فلم ينتهوا، فاستحقوا جميعا عقابهم؛ فطردهم من الجنة... ثم يوضح الكتاب المقدس حالهما بعد ارتكاب الخطيئة :

[1] الإصحاح الثالث، الآيات 1 – 17.

المنارة للاستشارات

« وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد».[1]

هذه الآيات الأربع تؤكدأن حال "آدم" و"حواء" قبل الأكل من الشجرة هي براءة عدم معرفة **الخير والشر**، وبعد الأكل كما أكد الله **(قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر)** وكلمة صار تفيد الصيرورة من حال إلى حال مغايرة معاكسة، فهما لم يكونا يعرفان ما هو معنى الخير وما معنى الشر، مثل طفل دون الرابعة، فقد كانا بدنيا بالغلين؛ ولكن في العقل في عمر دون الرابعة وكان ينتظر أن ينمو عقلهما بخبرات متعددة من خلالها تنمو لديهما المقدرة على الاختيار الأدبي؛ أن أن يكون حرا في الاختيار، وأن يكون لديه القدرة على الاختيار عن طريق معرفة مميزات الخيارات ويختار من بينها عن إدراك. ف"أدم" و"حواء" تعلما حرية الإرادة من الأكل وليس من عدم الأكل، نفهم من هذا، أن حرية الإدراك سلوك مكتسب وليس فطري imborn،[2] وكان عليهما أن يتعلما أن يختار من حلال محكمات، وهنا يأتي دور الشجر فهي تعتبر محكا يعلمها الاختيار الأدبي ومنه تنبثق حرية إرادتهما.

وقد كانت نتيجة الأكل من شجرة معرفة الخير والشر أن انفتحت أعينهما وصارا عارفين الخير والشر « **فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر».**[3]

---

[1] الإصحاح الثالث، الآية: 22.

[2] **توماس برنابا**، تقويض قصة أدم وحواء في سفر التكوين!!

[3] الإصحاح الثالث، الآية: 7.

المنارة للاستشارات

كيف يمكن أن نعتبر أن الأكل من شجرة شهية النظر وجيدة للأكل، أن يكون الأكل منها هو سبب هلاك الجنس البشري، بل سبب دخول الخطيئة والتعب إلى العالم، وبذلك كانا لا بد أن يموت آدم وحواء، وأكد المسيحيون أنهما ماتا بالفعل (كيف هذا وهما حيان كما يؤكد سفر التكوين؟)، ويؤكدون أنهما بدآ الموت البدني لأنهما كانا سيخلدان ولكن خلاياهما بدأت مرحلة الإماتة وسيموتون بعد حين، وأيضا هناك موت روحي متمثل في انفصالهما عن الله الذي كان يأتيهما في الجنة ويجالسهما، وهناك موت ثالث انتابهم وهو الموت الأدبي الأبدي يتمثل في العقوبة الأبدية في جهنم النار إن لم يكن هناك منقذ وفادي... ثلاث ميتات ماتوها وهما حيان يرزقان، هل فهم اليهود – أصحاب التوراة – هذا الفهم، أم أن هذا الفهم دخيل على روح التوراة ؟ وكيف دخل الأذهان؟ أليس عن طريق فلسفة "**بولس**" الرسول حينما صاغ فكرة وعقيدة الإله المتجسد الذي سيفدي البشر الذين وقعوا في الخطيئة الأصلية بسبب الأكل من ثمرة حرم الله الأكل منها...[1]

فالغاية الأولى من ذكر القصة تكمن في إثبات ارتكاب **(آدم وحواء)** للخطيئة الكبرى وتعلمها حرية الإرادة والاستقلال بذاتيهما عن الإله الرب واستعمالهما للحجة، هذه التيمة استحضرها العديد من الأدباء في أعمالهم، فـ"**جون ملتون**" جعل بطل ملحمته الملاك الساقط (الشيطان) يعلن تمرده عن الإله الرب بحجة أنه مخلوق ذاتيا؛ أي أن الإله لم يخلقه مثلما فعل مع المخلوقات الأخرى،

[1] توماس برنابا، **تقويض قصة أدم وحواء في سفر التكوين!!**

المنارة للاستشارات

إنما هو الذي خلق نفسه بنفسه،[1] لذلك نجد "**ملتون**" يجعل منه شخصية متمردة في كل محطات ملحمته، فهو بعد إعلانه التمرد يطرد خارج الجنة ويصور محاولته إقناع زبانيته بأفكاره الجديدة، من ثم يقرر أن مهمته الأساسية هي إفساد الكون، ويستجمع كل ما لديه من حيل ومكائد لإنجاح مهمته، ويستطيع التسلل إلى آدم وحواء في جنتهما والتفرد بـ"حواء" وإغوائها رغم الحراسة الشديدة التي كانت تقوم بها الملائكة على المخلوقين الجديدين لإبعاده عنهما؛ فبعد فشل محاولته الأولى في التسلل إلى حواء عبر المنام نجح في المحاولة الثانية التي مكنته من التحايل عليها عن طريق التنكر بهيأة (حية) داهية.

كما استغل البعض الآخر القصة في الترويج للفكرة القائلة بأن "حواء" هي المسؤولة عن إخراج "آدم" ومن بعده ذريته من جنتهم التي وهبهم إياها الإله الرب، وموقف أحبار اليهود الذين صيروا هذه القضية خطيئة كبرى بل (خطيئة مميتة وموروثة) تنتقل في نظرهم من الآباء إلى الأبناء، وتبقى حواء وحدها بالتالي المسؤولة عن هذه الجريمة النكراء، وعن هذا الإثم العظيم،[2] تلك الفكرة التي أكدتها التوراة المحرفة وتناقلتها الأناجيل بعدها، حيث « إن المسيحية رأت فيما بعد في (الخطيئة الأصلية) عقيدة من عقائدها، وأساسا من أسس تعليمها. وأن

[1] ينظر جون ميلتون، **الفردوس المفقود**، تر. وتيق محمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002، الكتاب 1، ص.71.

[2] فتنت مسيكة برّ، **حواء والخطيئة في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم**، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط.1، 1996، ص.48.

المنارة للاستشارات

جميع البشر يرثون بالولادة من أبينا الأول، الخطيئة الأصلية، ينبوع الآثام المتراكمة على نسله، والتي كفر عنها المسيح آدم الجديد ».[1]

هنا يبرز دور الدراسات المتعلقة بالأديان المقارنة والقصص القرآني وما تستشهد به من تفسيرات عظيمة وأحاديث نبوية شريفة صحيحة؛ لتوضيح اللبس الكائن في عناصر القصة، وتأكيد الصائب منه والتفصيل فيما سكت عنه.

كما نستفيد من التفاسير وقصص القرآن في توطيد تفاصيل القصة والغاية من ذكرها في الكتاب المبين، فقد وردت قصة (خروج آدم من الجنة ونزوله إلى الأرض) في القرآن الكريم في سور ثلاث هي: **(البقرة)** و**(الأعراف)** و**(طه)**، وهي تختلف في صياغتها ودلالتها عن القصة كما وردت في التوراة، على الرغم من التشابه بين القصتين في خطوطهما العريضة، إلا أن النص القرآني – ولأنه كلام الله دون تدخل بشري فيه بالتحريف أو التزوير– يبدو فيه الصدق واضحاً.. فالقصة القرآنية تبدأ قبل خلق آدم: « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ » [2] وهـذا يعني صراحة النص على أن "آدم" عليه السلام خلق ليعيش في الأرض لا في السماء، ولم يكن ما حدث في الجنة إلا برهانا على اختلاف "آدم" عن الملائكة المبرئين من العيوب، فهو معرض

[1] فؤاد أفرام البستاني، **دائرة المعارف**، بيروت، لبنان، د.ت، (مادة آدم)، ص.107.

[2] سورة البقرة الآية: 30.

المنارة للاستشارات

للغواية، وعليه وحده تقع مسؤولية التفرقة بين الخير والشر،[1] وبناء على ذلك فإن قصة "آدم" في القرآن لم تهدف إلى إثبات خطيئة "آدم"، كما أقرتها التوراة والإنجيل، بل إن ما فعله "آدم" يشير إلى طبيعة الآدمي ساكن الأرض، ثم تؤكد الآيات القرآنية بعد ذلك حكمة الخالق حتى صنعة "آدم" على هذا النحو، وذلك في قوله تعالى: « وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ [31] قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ [32] قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ [33] »[2]، وليست أسماء المسميات مجرد أسماء، لكنه الإدراك الذي يميز بين الشيء وغيره بل لنقل أنه العلاقة بين الإنسان والموضوع وهنا يتمثل جوهر طبيعة الإنسان وجوهر قيمته ووجوده في الأرض، ويتحدد هذا الجوهر بأن للإنسان فكرا يتحرك في كل ما حوله، وتنتهي قصة آدم كما وردت في القرآن الكريم بوعيه لانبعاثه وتحمله لمسئولياته، وهما أساس تصالحه مع ربه، ورضاء الله عنه: « فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ [37] ».[3]

وتصور القصة التوراتية طرد "آدم" و"حواء" من الجنة، وكأنها خوفاً من مناقشتها له في معرفة الخير والشر، وقبل أن يكتسبها أيضاً صفة الخلود، إذا ما

---

[1] أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.1، 1999، ج.1، ص.70.

[2] البقرة الآيات: 31، 32، 33.

[3] سورة البقرة، الآية: 37.

المنارة للاستشارات

أكلا من شجرة الحياة المحرمة عليهما، وفي مقارنة بين ما روته التوراة وما رواه القرآن، لإلقاء مزيد من الضوء على مدى ما أعترض القصص الديني في التوراة من تحريف، نورد الآيات الكريمة التي تناولت القصة :

قال تعالى في سورة البقرة: « وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ [35] ».[1]

وقال تعالى في سورة الأعراف: « وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ».[2]

أما عن إغواء الشيطان لـ"آدم" و"حواء" فقد قال عز وجل: « فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ »[3]، وقال: « فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ».[4]

وكما قال تعالى:« فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى[120] فَأَكَلَا مِنْهَا [121] فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ[122] وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى [123]».[5]

أما عن نتيجة هذا الخطأ فقال تعالى: « وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ »،[1] وقال عن الغاية من مشيئته هذه :

---

[1] سورة البقرة، الآية: 35.

[2] سورة الأعراف، الآية: 39.

[3] سورة البقرة، الآية: 36.

[4] سورة الأعراف، الآيات: 20، 21.

[5] سورة طه، الآيات: 121،120،119.

المنارة للاستشارات

« قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى»،[2] إن أمر الله لهم بالهبوط إلى الأرض، مع تحقق العداوة بينهم واستقرارهم في الأرض والاستمتاع بها إلى حين معلوم، وقوله (هدى) يقصد الأنبياء والرسل والبيان، فمن اتبعه فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة [3]، كما يخبر عزّ وجلّ بما سيكون عليه حالهم في الأرض (حياة فموت فبعث) : « قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ».[4]

نلاحظ أن الآيات القرآنية تقدم الخطوط العريضة لـ (قصة آدم وحواء) منذ أن خلقا في الجنة إلى أن طردا منها، ليعيشا هما ونسلهما على الأرض حياة غير حياة التحريم، أو هو بتعبير آخر اختبار لطبيعة الجنس البشري، تلك الطبيعة التي لازمت الإنسان منذ بدء الخليقة حتى اليوم، وهي التي تتمثل في ضعفه، أمام قوة الإغراء المادي. ولما كان التجريد من أخص خصائص القرآن الكريم. لذلك فإن (قصة آدم وحواء) في القرآن تختلف اختلافاً جوهرياً عن قصتهما في سفر التكوين من العهد القديم؛ ليس في طريقة السرد القصصي وحدها وإنما أيضاً في الهدف والغاية من إيراد القصة؛ فحسب القرآن الكريم كانت عمارة"آدم" و"حواء" للأرض مقدرة قبلاً، كما كان عصيان "آدم" مقدراً من قبل، وتصبح القصة الدينية

---

[1] سورة البقرة، الآية: 36.

[2] سورة طه، الآية: 123.

[3] أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، ج.3، ص. 159.

[4] سورة الأعراف، الآية: 25.

المنارة للاستشارات

عندئذ تأكيداً للطبيعة الإنسانية، وجوانب ضعف الإنسان التي جعلته هدفاً لإغراء الشيطان.

كما اهتم الأدب المقارن بالشخصيات التي اكتسبت شهرة عالمية؛ مثل **شخصية النبي "يوسف عليه السلام"** وامرأة العزيز. وقد صورت هاتان الشخصيتان في الأدب الفارسي الذي بعُد بها عن المصدر القرآني وانتقلت إلى الأدب الصوفي[1]، كما صورت قصتهما في الأدب الغربي منذ القديم (المسرح اليوناني[2] والروماني[3] وحتى العصر الحديث.[4]

لقد ذكرت **قصة (يوسف وزليخا)** في (القرآن الكريم) في السورة المسماة باسمه، كما ذكرت في الكتب السماوية السابقة؛ فكانت مصدرا للشعوب في التعرف على حيثياتها، وللأدباء في استلهامها في أدبهم، ومنها تأثير بعضهم في بعض، فالأدباء الغربيون استمدوا أحداثها مما ورد في (العهد القديم) لغاية تأريخية، فقد ذكرت القصة كجزء من القصة التي تؤرخ وتذكر أخبار النبي "يعقوب" عليه السلام، المذكورة في (الإصحاح السابع والثلاثين) من سفر التكوين. تذكر القصة في **(الإصحاح التاسع والثلاثين)** على النحو التالي: « **وحدث بعد هذه الأمور أن امرأة سيده رفعت عينيها إلى يوسف وقالت: اضطجع معي (8) فأبى وقال لامرأة سيده: هو ذا سيدي لا يعرف معي ما في البيت، وكل ما**

---

[1] صورهما في الأدب الفارسي الشاعران: الفردوسي (ت 1021م)، وعبد الرحمان الحامي (ت1492م)...

[2] عند كل من "إسخيلوس" و"يوريبديس" في تراجديا (فيدرا) و(هيبوليتوس).

[3] عند سنِكا Sénèque في تراجيديا (فيدرا).

[4] عند راسين Racine في تراجيديا (فيدر Phèdre).

المنارة للاستشارات

له قد دفعه إلى يدي (9) ليس في هذا البيت أعظم مني، ولم يمسك عني شيئا غيرك لأنك امرأته، فكيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله (10) وكان إذا كلَّمَتْ يوسف يوما فيوما أنه لم يسمع لها، أن يضطجع بجانبها ليكون معها (11) ثم حدث نحو هذا الوقت أنه دخل البيت ليعمل عمله، ولم يكن إنسان من أهل البيت هناك في البيت (12) فأمسكته بثوبه قائلة: اضطجع معي، فترك ثوبه في يدها وهرب وخرج إلى الخارج (13) وكان لما رأت أنه ترك ثوبه في يدها وهرب إلى الخارج (14) أنها نادت أهل بيتها وكلمتهم قائلة: انظروا قد جاء إلينا برجل عبراني ليداعبنا، دخل إلينا ليضطجع معي فصرخت بصوت عظيم (15) وكان لما سمع أني رفعت صوتي وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبي وهرب وخرج إلى الخارج (16) فوضعتْ ثوبه بجانبها حتى جاء سيده إلى بيته (17) فكلمته بمثل هذا الكلام قائلة دخل إليَّ العبد العبراني الذي جئت به إلينا ليداعبني (18) وكان لما رفعت صوتي وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبي وهرب وخرج إلى الخارج (19) فكان لما سمع سيدُه كلام امرأته الذي كلمته به قائلة بحسب هذا الكلام صنع بي عبدك أن غضبه حمي (20) فأخذ يوسفَ سيدُه ووضعه في بيت السجن المكان الذي أسرى الملك محبوسون فيه، وكان هناك في بيت السجن».[1]

نلاحظ أن القصة المذكورة تؤكد على مراودة المرأة "زليخا" لـ"يوسف" الشاب الذي تربى في بيتها، ومصارحتها بذلك مباشرة، ويطيل أهل الكتاب في

[1] سفر التكوين، الاصحاح التاسع والثلاثين، الآيات: 8-21.

المنارة للاستشارات

ذكر قصة لحظة اجتماع "يوسف" بامرأة العزيز، ويأتون بأشياء وادعاءات تسيء إلى يوسف عليه السلام، فهم مغرمون بتهمة الأنبياء؛ لكي يبرروا لأنفسهم الفضائح التي يعملونها؛ فإذا كان الأنبياء عندهم زناة وشراب خمرة، وفعلوا الأفاعيل، وقتلوا ظلماً وعدواناً؛ فلا مانع عندهم من ممارسة هذه الأشياء التي فعلها الأنبياء بزعمهم. كما تؤكد فكرة تحايل المرأة وافترائها على الفتى "يوسف" واتهامها له على غير وجه حق.

هذه الصورة عن سلطان الحب والانصياع للغرائز والتآمر والخداع والنهائة الأسيفة للمظلوم، أغرت الكثير من الشعراء والأدباء؛ فالشعراء المسرحيون اليونان اتخذوا من الخطوط الكبرى للأسطورة القديمة للمرأة "**فيدرا**" زوج "**ثيسيوس**"[1]مع ابن زوجها من زوجته السابقة "**هيبوليتوس**" التي أرسلت "فنوس/ أفروديتي"[2] حبّا مدمرا لها ولـ"هيبوليتوس"[3] موضوعا لمآسيهم، كالشاعر "**يوريبديس**"- مثلا- الذي جعل من المرأة "فيدرا" التي يأسرها حب ابن زوجها اللامبالي بها ويعذبها، تتسبب في نهايته المأساوية بعد أن يعلن والده -العائد بعد طول غياب- سخطه عليه، ويطلب من إله البحر معاقبته والتنكيل بجثته؛ لكنه يأسف ويندم عند علمه بالحقيقة.[4] ونحن نعلم أن المعتقدات اليونانية رغم قيامها على العبادات الوثنية

---

[1] ثيسيوس : أمير أتيكي من اليونان قديما.

[2] إلهة الحب والجمال عند اليونان القدماء.

[3] ينظر عزة محمد سليم سالم، **مقارنة بين قصة هيبوليتوس ليوريبيديس وقصة فيدرا لسنكا وفيدر لراسين**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989، ص.5.

[4] يوريبيديس، **عابدات باخوس- إيون- هيبولبتوس**، تر. عبد المعطي شعراوي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط.1، 1997، ص.80.

المنارة للاستشارات

إلا أنها أخذت الكثير من أخبار الديانات السماوية؛ فإن لم تكن الديانة المسيحية فهي اليهودية وما سبقها من الديانات السماوية القديمة.[1]

الفكرة نفسها استلهمها كل من الشاعرين "**سنكا**" الروماني و"**راسين**" الفرنسي في مسرحهما المتأثر بالمسرح اليوناني، غير أنهما أهملا تدخل الآلهة في الأحداث، فدائما "فيدرا" المرأة تقع في حب ابن زوجها الشاب الذي يصدها، فهو عازف عن الدنيا وملذاتها، وعندما يتملكها سلطان الحب، تنوي وضع حد لحياتها، بعد أن توهم زوجها بأن ابنه أراد بها السوء في غيابه؛ فيغضب عليه ويدعو عليه بالموت عقابا له على خيانته، لكنه يندم في الأخير عند معرفته الحقيقة.[2]

كما كانت قصة "**يوسف**" المذكورة في القرآن الكريم مطمح أنظار الكتاب والشعراء قديماً وحديثاً، ومنبعاً يستوحون منه خيالاتهم وإبداعاتهم؛ قال تعالى: « لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ »[3]؛ ثم يخبرنا بأن ما سيذكره لنا هو الحديث الحسن، يقول تعالى: « نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

---

[1] هذا ما نلاحظه عند تأملنا للأساطير التي تفسر المعتقدات اليونانية القديمة، فهي تقوم على أخبار وقصص من الصعب أن يكون العقل البشري هو الذي وضعها – أو كما تنص عليه الدراسات الميثولوجية المتخصصة – كقصة خلق الإنسان الأول، وقصة الطوفان الذي عم الأرض، وقصة العالم السفلي... فهي في خطوطها العريضة تشابه ما ورد في الكتب السماوية.

[2] لتفاصيل أكثر ينظر ينظر عزة محمد سليم سالم، **مقارنة بين قصة هيبوليتوس ليوريبيديس وقصة فيدرا لسنكا وفيدر لراسين**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989

[3] سورة يوسف، الآية: 07.

المنارة للاستشارات

هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ [3] ».[1] و« إن المتدبر لسورة يوسف يبكي قلبه قبل عينه على ما فيها من ابتلاء وامتحان ليوسف وأبيه يعقوب عليهما السلام، تجرعاها من أقرب الناس إليهما. ويبهره أسلوب عرض القصة فهو أسلوب أذهل مكة والذين كانت تعجبهم أقاصيص الروم والفرس حين كان **النضر بن الحارث** ينافر بها رسولنا محمد(ص) ويقول لقومه: أنا والله أحسن حديثاً من محمد فهلم أحدثكم أحسن من حديثه، فأنزل الله تعالى على رسوله هذه السورة التي حوت أرقى الأساليب فتأخذ بسويداء القلب »[2]؛ لأنها كما قال "**سيد قطب**" رحمه الله : « تمثل النموذج الكامل لمنهج الإسلام في الأداء الفني للقصة، ذلك الأداء الصادق الرائع بصدقه العميق وواقعيته السليمة، المنهج الذي لا يحمل خلجة بشرية واقعية واحدة، وفي الوقت ذاته لا شيء مستقلاً من الوحل يسميه الواقعية كالمستقع الذي أنشأته الواقعية الجاهلية ».[3]

فالله جل شأنه يروي لنا في كتابه العزيز القصة كاملة عن مراودة زوجة العزيز لـ"يوسف" عن نفسه، وطلبها منه ما لا يليق بحاله ومقامه، وهو النبي من سلالة الأنبياء، فعصمه ربه عن الفحشاء، حيث يقول:« وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ [23] وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ

---

[1] سورة يوسف، الآية: 03.

[2] صالح بن حسين العايد، **نظرات لغوية في القرآن الكريم**، دار إشبيلية للنشر، ط.2، 2002، ص.192.

[3] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار إحياء التراث العربي، ط.7، 1971، ج.4، ص.665.

المنارة للاستشارات

لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ [24] وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [25] قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ [26] وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ [27] فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ [28] يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ [29] ».[1]

هذه السورة معجزة فعلاً؛ لأنها أولاً تنبه الإنسان، وهي مليئة بمعاني التوحيد والإيمان، فلا يوجد موضع إلا وهو مرتبط بالعقيدة، بالإيمان بالله وأسمائه وصفاته، وآثار هذه الأسماء والصفات، ويبين ويكشف تماماً شخصيات الأنبياء والصفات العظيمة التي فيهم، فمن أروع الأمثلة في الإيمان بالله ورجائه، والعفو والصفح والكرم والجود والحلم والصبر والاحتساب، وهذه الصفات تجد الكلام عنها في (قصة يوسف "عليه السلام") ولا يمكن أن تتوفر في إنسان عادي.

وعندما نقارن ما ذكر في القرآن بما ورد في كتب اليهود والنصارى نجد أن هناك بوناً شاسعاً، فنجد القرآن لا يهتم بالتفاصيل؛ لأنها لا تهم المسلم، لكن بني إسرائيل دائماً يُسهبون في كل القصص (كالحديث عن اسم زوجة العزيز، وزواج "يوسف" بها بعد توبتها، وإنجابه منها...) لكن القرآن أهمل مثل هذه الأقوال؛ لأنها

[1] **سورة يوسف**، الآيات : 23-29.

المنارة للاستشارات

لا تفيد، وبلا شك فإن الله عز وجل أعلم بالذي حصل لها، لكن الله سكت عن ذكرها حتى ننشغل بما هو أعظم وأهم.

وعندهم ذكر للأشياء المنكرة، لكننا نجد القرآن لا يذكر الأحداث في اللحظات الحساسة، بل قال مثلاً: « **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا** »، فالحديث نفسه وقع في خاطره وزال بسرعة؛ ليُثاب، ولكي يكون قدوة للشباب في كل وقت، فقد وجد في نفسه الرغبة ولكنه قاومها، وتركها لله لكي يبقى قدوة لغيره، ولكي لا يظن الناس أن الأنبياء لا يقع في قلوبهم ما يقع في قلوب الناس من الشهوات، فقد كان عنده ما عند الشباب، وكان غريباً ووحيداً، والفاحشة لا تسيء في حق الغريب، فهو ليس من أهل البلد؛ خصوصاً أنه شاب وأعزب ورقيق، والتي تطلبه هي أولاً سيدته، وثانياً هيأت الأمر له كما قال سبحانه : « **وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ** »، فكأنها تملكه نفسها، فتقول: تهيأت لك، أو تعال إلي، وهي سيدته، فهذا امتحان صعب بلا شك.[1]

نجد الكثير من الشعراء نحوا بالقصة منحا صوفيا كالشعراء الفارسيين، حيث يقال أن منظومة "الفردوسي "المعنونة بـ **(يوسف وزليخا)** هي التي أدخلت موضوع (يوسف وزليخا) ضمن نطاق الشعر القصصي الإسلامي (قصيدة شعرية في اثني عشر ألف بيت شعري على البحر المتقارب) فأصبح موضوعا شائعا متناولا. كما أن "نظام الجامي" اتجه بقصيدته اتجاها صوفيا، إذ يعتقد بأن التأمل في الجمال الإنساني يقود إلى الله ذي الجمال المطلق، فقد جسد فيها فكرة الزواج

[1] أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، ج.2، ص. ص. 448، 449.

المنارة للاستشارات

الصوفي، حيث صور "يوسف" غارقا في صوفيته و"زليخا" غارقة في هواه حتى تهرم وتعمى وهي تنتظر قدومه، فيحن عليها "يوسف" ويدعو ربه أن يعيد إليها شبابها وبصرها فيستجيب له ربه، ثم يتزوجها لكن العيش لا يطيب له مع صوفيته؛ فيدعو ربه أن ينقله إلى الدار الآخرة فينقله، وتبقى "زليخا" وحيدة غارقة في حزنها، بعدما أسست لنفسها مقاما للعبادة على ساحل النيل حيث زهدت الدنيا وما فيها. والمنظومة مليئة بالمصطلحات والأفكار الصوفية.[1]

وهذا "عدنان مردم" يستلهم فكرة القصة في قصيدته **(يوسف وزليخا)** مركزا على موقف الحب، فلولا العنوان لظنناها قصة عاطفية مجردة، حيث يركز على نفسية المرأة المتشوقة والمسهدة التي عصفت بها الأهواء، مركزا على هوى "زليخا" واالصراع النفسي الذي تعانيه.[2]

من المباحث التي شغلت الأدب المقارن المواضيع التي انتقلت بين الآداب المختلفة؛ **كموضوع الدار الآخرة**، هذا الموضوع الذي يعد معجزا بحيثياته وجزئياته، مدهشا بحقيقته وعجائبيته، إنه أسطورة كونية عرفتها كل الحضارات قديمها وحديثها، حيث يظهر في شكل ثنائي تناقضي طرفاه الفردوس والجحيم، فتلك الرحلة إلى العالم الآخر (عالم ما بعد الموت) والانتقال من مرحلة إلى أخرى، وتلك المواقف العجيبة التي تعيشها شخصياتها شغلت الكثير من الأدباء

---

[1] ينظر محمد التونجي، **الآداب المقارنة**، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط.1، 1990، ص. 122،123،124.

[2] ينظر عزيزة مريدن، **القصة الشعرية في العصر الحديث**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1974، ص.ص.60،61.

المنارة للاستشارات

والشعراء؛ فأخذونا معهم في رحلاتهم الخيالية وعشنا معهم أجواءها غير الاعتيادية كرحلة "**ابن شهيد**" في (**رسالة الزوابع والتوابع**)، رحلة "**ابن عربي**" في قصته (**الفتوحات المكية**)، ورحلة "المعري" في (**رسالة الغفران**)، ورحلة "**دانتي ألبغيري** Alighiré Dante" في ملحمته (**الكوميديا الإلهية**)... دون أن نغفل الرحلات التي قام بها أدباء العصور القديمة أمثال "**هومروس**"[1] و"أرسطو فانيس"[2] و"فرجيل"...[3]

لقد احتل العالم الآخر حيزا واسعا فى الثقافة الإسلامية، انطلاقا مما ذكره القرآن الكريم، وما شرحته ووضحته السنة النبوية الشريفة والتفاسير، حيث أكد القرآن وجود عالم ماورائى يأتى ما بعد الموت فى العديد من السور القرآنية، وقد قسم العالم الآخر إلى قسمين لا ثالث لهما (**الجنة والنار**) ، خاصة بوقوفها عند حادثة (**الإسراء والمعراج**)، إنها معجزة كبرى من معجزات الرسول المصطفى "محمد" عليه الصلاة والسلام، إنها مظهر من مظاهر التكريم الإلهي لخاتم الأنبياء والمرسلين وآية باهرة تدل على قدرة الله "جل وعلا" في صنع العجائب والغرائب، فالإسراء هو ذهاب الله بنبيه محمد "صلى الله عليه وسلم" من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بالياء (مدينة القدس) في جزء من الليل ثم رجوعه

---

[1] شاعر اليونان (ق 9 ق.م) جعل بطل ملحمته **الأوديسة Odisie** (التي تتحدث عن رحلة العودة من حرب طروادة الأسطورية) يقوم برحلة إلى العالم السفلي (الجحيم).

[2] رائد الكوميديا اليونانية (450 ق.م) قام برحلة إلى العالم السفلي (الجحيم) في مسرحيته المعنونة بـ (**الضفادع**) عرضت لأول مرة سنة (405 ق.م).

[3] شاعر الرومان (70-19 ق.م) جعل بطل ملحنته **الإنيادة Eniede** (تتناول أصل الشعب الروماني قبل تأسيس روما بزمن بعيد) يقوم برحلة إلى العالم السفلي (الجحيم).

المنارة للاستشارات

في ليلته. والمعراج هو صعوده "صلى الله عليه وسلم" من بيت المقدس إلى السماوات السبع، وما فوق السبع ثم رجوعه إلى بيت المقدس في جزء من الليل ».[1]

قال تعالى: « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ».[2]

من الأعمال الأدبية التي سجلت تأثرها بهذه المعجزة **(رسالة الغفران)** التي كتبت في الجزء الأخير من حياة **أبي العلاء** (424هـ)، رسالة ذات طابع روائي قد تضمنت آراء أبي العلاء في كثير من الأمور، كما تضمنت استطرادا خياليا حاول من خلاله أن يرد على العديد من القضايا التي زحمت فكره ووجدانه، فاستغل رسالة "ابن القارح" – الشخصية البطلة في الرسالة وهي التي قامت بالرحلة الخيالية – الذي أرسل إليه يطلب منه رأيه في بعض القضايا الأدبية والدينية والدنيوية فكانت (رسالة الغفران) إجابة رمزية عن استفساراته. للتنفيس عن رأيه ومعتقده، بمحاورة الأدباء والشعراء واللغويين في العالم الآخر، مرورا بالمحشر، ثم الجنة فالنار. [3]

ظهرت فكرة العالم الآخر في الأساطير اليونانية القديمة مع ظهور (الأورفية Orphisme) في (ق 6 ق م)، كحركة تيار ديني قوي يحاول أن يتعالى

---

[1] الحافظ بن كثير، قصص القرآن، ص.181.

[2] سورة الإسراء، الآية: 01.

[3] ينظر أبو العلاء المعري، **رسالة الغفران**، تق. مفيدة قميحة، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 2003.

المنارة للاستشارات

عن هزائم الواقع وانكساراته بخلق عالم آخر بديل، ينعم فيه الصالحون بنعيم أبدي، ويعاني فيه المذنبون عقابا مقيتا.[1] هكذا تشكلت صورة لعالم ما بعد الموت في معتقدات الميثولوجيا اليونانية القديمة، حيث جعلت "هاديس" إلها للعالم السفلي (الجحيم) الذي لا بد أن تنزل إليه أرواح الأموات بمحاسبتها عن أعمالها في حياتها الدنيوية.[2] وقد تحدث عن ذلك العديد من الشعراء في ملاحمهم ومسارحهم، يقول "هوميروس" شاعر اليونان الأعظم في إلياذته:

لأذيس أنفذن منحدرات وفرى الطير والكلاب القيولا

وهو يتحدث هنا عن أن أرواح أبطال حرب (طروادة) وزعمائها ستنزل إلى "هاديس" إله الجحيم لتلقى جزاءه عن أعمالها التي اقترفتها في حياتها.

ثم انتقلت الصورة نفسها إلى شعراء الحضارة الرومانية المحاكية لسابقتها اليونانية.

أما إذا نظرنا إلى التصوير الديني للعالم الآخر في الديانات السماوية القديمة، وجدنا أسفار العهد القديم الأولى تخلو من أي حديث عن عالم ماورائي يحاسب فيه الأشرار، ويجازى فيه الأخيار، وهذا أمر غريب جدا بالنسبة للكتاب المقدس، منبع الوحي واللاهوت والعقيدة...[3] فكل شيء ينتهي عند الموت، لكننا نجد صورة بدأت تتشكل عن ذلك العالم بعد احتكاك اليهود بالديانات الشرقية القديمة، حيث ورد في (سفر اللاويين) من (العهد القديم) بأن اليهود هم شعب الله

---

[1] ينظر مديحة عتيق، **أسطورة العالم الآخر في الشعر الحديث والمعاصر**، دراسة موضوعاتية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط.1، 2010، ص.19.

[2] ينظر خليل تادرس، **أحلى الأساطير الإغريقة**، كتابنا للنشر، المنصورية، لبنان، ط.1، 2008.

[3] ينظر مديحة عتيق، **أسطورة العالم الآخر في الشعر الحديث والمعاصر، دراسة موضوعاتية**، ص24.

المنارة للاستشارات

المختار، اصطفاهم "يهوه" دون سائر البشر ليسكنهم أرضا فردوسية في الحياة الدنيا هي (أورشليم) أرض الميعاد: « **وقلت لكم ترثون الأرض وأنا أعطيكم لترثوها أرضا تفيض لبنا وعسلا...**».[1] لقد ابتدأت الجنة "اليهودية" (أورشليم) حلما دنيويا لتصبح فيما بعد وعدا أخرويا، يتحقق بعد الممات...

أما في المسيحية فقد « تأسست صورة العالم الآخر في العهد الجديد على أنقاض صورته في التوراة، فقد تجاوز المسيح البعد القومي اليهودي، بعد أن أعلن فساد تصورهم بأنهم شعب الله المختار، وجعل العالم الصالح والسمو الروحي هما مقياس التمييز بين الأخيار والأشرار، وبذلك حلت مملكة الرب الروحية محل أرض الميعاد التي سيتوارثها أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، فجعلت الجنة مقرا أخرويا للملتزمين بشريعة المسيح... وجعلت الجحيم مآل المنحرفين عن تعاليمه...».[2]

لقد ذكر العالم الآخر في (العهد الجديد) في الأناجيل الأربعة (متّى- يوحنا- مرقص- لوقا)، وكان (الجحيم) أكثر عناصر العالم الآخر حضورا في المعتقدات المسيحية في النصوص الإنجيلية أو الكتابات الرؤيوية أو الأذهان الشعبية، حيث تشكل تصورا حول فضاعته وبشاعة أجوائه، أهم معالمه: النتانة، الأفاعي، النار، الظلام، الديدان، السلاسل، الضجيج... وزاد رجال الدين والرهبان من تهويل (الجحيم المسيحي) ولفه في صورة تدعو إلى الرهبة والتشاؤم في آن واحد إلى أن لجأت إلى الحل الوسط؛ وهو المطهر وصكوك الغفران، كوسيلة

[1] سفر اللاويين، الآيات : 20،22.

[2] مديحة عتيق، **أسطورة العالم الآخر في الشعر الحديث والمعاصر**، ص.28.

المنارة للاستشارات

لتخفيف الأمر وإعطاء فرصة لمن كانت أخطاؤه قابلة لأن تغتفر بأن يتطهر منها وتمحى؛ وبذلك يتجنب هول عذاب الجحيم...[1]

هذه الصورة أسرت العديد من الأدباء والشعراء الذين استلهموها في أدبهم، ولعل أشعر نموذج عن ذلك الصورة التي قدمتها **(الكوميديا الإلهية)** لـ"**دانتي أليغيري**" بأجزائها الثلاثة (الجحيم، المطهر، الفردوس)؛ حيث يصف لنا صورا مروع عن عذاب الفئات التى وجدها فى الجحيم وهى الفئات التى يرى أنها ارتكبت خطايا لا تغتفر بحق الدين والمسيح والعباد وتسببت في خراب البشرية، ثم يوضح لنا كيفية تطهر الفئات التى أتيحت لها فرصة التطهر من ذنوبها فى المطهر وهى التى يرى أنها ارتكبت أخطاء فى حق نفسها لا فى حق الدين والعباد، ويصف لنا بعدها تطهره من ذنوبه، ليصل بعدها إلى الفردوس السماوية واصفا نعيم فئاتها التي يرى بأنها تستحق النعيم لأنها من الفئات المؤمنة التى لم ترتكب أخطاء لا في حق الدين والمسيح ولا في حق البشرية.[2] مع الإشارة إلى أنها أوصاف اعتمدها "دانتي" وفق ما نصت عليه الكنيسة الكاثوليكية في القرون الوسطى.

نستخلص مما سبق أن قصص القرآن تشرح لنا حقيقة الأخبار وتفاصيلها والغاية منها، كما تشرح لنا التفاسير مضمون القصص وأحداثها، كما يوضح لنا علم الأديان المقارن تلك الاختلافات الحاصلة الجوهرية بين الديانات المختلفة

---

[1] مديحة عتيق، **أسطورة العالم الآخر في الشعر الحديث والمعاصر**، ص.ص.31،30.

[2] ينظر مقدمة دانتي أليجييري، **الكوميديا الإلهية**، **(الجحيم)**، تر.حسن عثمان، دار المعارف، ط. 3. د.ت.

المنارة للاستشارات

حول أخبار الأنبياء والرسل، وبذلك يفيد الأدب المقارن من هذه الدراسات أيما إفادة للإثراء مباحثة وكشف اللبس الحاصل بين النصوص الأدبية العالمية المختلفة، والمساهمة غي كشف جماليتها وتوضيح معانيها.

المنارة للاستشارات

قائمة المراجع المعتمدة:

- **القرآن الكريم**، برواية ورش عن نافع، إشراف اللجنة العلمية في دار الخير، دار القرآن الكريم، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، حلب، سوريا، ط.1، 2004.
- **التوراة والأناجيل الأربعة**، ترجمة من اللغات الأصلية، العبرانية والكلدانية واليونانية، جمعية التوراة الأمريكية، جمعية التوراة البريطانية والأجنبية، القاهرة، 1938.

1- ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر بيروت، ط.1، ج.7.

2- أبو العلاء المعري، **رسالة الغفران**، تق. مفيدة قميحة، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 2003.

3- أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.1، 1999، ج.1،2،3.

4- الحافظ بن كثير، **قصص القرآن**، تح. صلاح الدين محمود السعيد، دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، ط.1، 2007.

5- . بكري شيخ أمين، **التعبير الفني في القرءان**، دار الشروق عام، ط.3، 1979 .

6- خليل تادرس، **أحلى الأساطير الإغريقية**، كتابنا للنشر، المنصورية، لبنان، ط.1، 2008.

7- صالح بن حسين العايد، **نظرات لغوية في القرآن الكريم**، دار إشبيلية للنشر، ط.2، 2002.

المنارة للاستشارات

8- سامي عابدين، **أصل الإنسان في التوراة والإنجيل والقرآن**، دار الحرف العربي، بيروت، ط.1، 2005.

9- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار إحياء التراث العربي، ط.7، 1971، ج.4.

10- فؤاد أفرام البستاني، **دائرة المعارف**، بيروت، لبنان، د.ت، (مادة آدم).

11- فضل حسن عباس، **القصص القرآني :إيحاؤه ونفحاته**، شركة شهاب، الجزائر، 1989

12- عزة محمد سليم سالم، **مقارنة بين قصة هيبوليتوس ليوربيديس وقصة فيدرا لسنكا وفيدر لراسين**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989.

13- عزيزة مريدن، **القصة الشعرية في العصر الحديث**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1974.

14- مأمون فريز جرار، **خصائص القصة الإسلامية**، دار المنارة جدة، د.ت.

15- محمد التونجي، **الآداب المقارنة**، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط.1، 1990.

16- محمد غنيمي هلال، **الأدب المقارن**، دار العودة، بيروت، 1983.

17- مديحة عتيق، **أسطورة العالم الآخر في الشعر الحديث والمعاصر، دراسة موضوعاتية**، دار ميم للنشر، الجزائر، ط.1، 2010.

18- مسيكة برّ، **حواء والخطيئة في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم**، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط.1، 1996.

المنارة للاستشارات

19- **توماس برنابا**، تقويض قصة أدم وحواء في سفر التكوين!!، **الحوار المتمدن**، ع. 4058، 2013 / 4 / 10، 09:25.
http://www.ahewar.org/debat/show.art

المراجع المترجمة :

1- جون ميلتون، **الفردوس المفقود**، تر. وتق محمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002، الكتاب

2- دانتي أليجييري، **الكوميديا الإلهية، (الجحيم)**، تر.حسن عثمان، دار المعارف، ط. 3. د.ت.

3- فرجيل، **الإنيادة**، تر. عنبرة سلام الخالدي، دار العلم للملايين، بيروت، ط.2، 1978.

4- هوميروس، **الإلياذة**، تر.البستاني.

5- يوريبيديس، **عابدات باخوس- إيون- هيبولبتوس**، تر. عبد المعطي شعراوي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط.1، 1997.

المنارة للاستشارات